AL-'ABQARI العبقري
USIM
ISSN 2232-0431 / e-ISSN 2504-8422 **VOL. 18 MAY 2019: 110-122**
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA Journal of Islamic Social Sciences and Humanities
مجلة الثقافة الإسلامية والإنسانية

Submission date: 03/12/2019 Accepted date: 05/04/2019

تحليل مفهوم الجاهلية في فكر سيد قطب

An Analysis of the Notion of "Jahiliyyah" in Sayyid Qutb's Discourse

Ibrahim Abdalla El-Banna, Noor Amali Bin Mohd Daud
International Islamic University Malaysia

amali@iium.edu.my

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل مفهوم "الجاهلية" في فكر سيد قطب، مع بيان الفرق بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الجاهلي من وجهة نظره، مع طرح أهم الأسباب التي جعلت سيد قطب يضع المجتمعات في بوتقة الجاهلية، بالإضافة إلى تسليط الضوء على الآراء المؤيدة والمعارضة لمفهوم الجاهلية.وقد انتهجت الدراسة المنهج الكيفي وذلك بتحليل آراء سيد قطب حول الجاهلية من خلال كتاباته ومقارنتها مع آراء الباحثين الآخرين ونقدها وتأصيلها.خلصت الدراسة إلى أن الجاهلية عند سيد قطب هي حكم البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر، وبالعبودية لهم من دون الله، بالإضافة إلى أن الدراسة أفصحت من خلالها أن الجاهلية قد أتت في كثير من المواضع التي تحدث عنها "سيد قطب" بمعنى التخلف، والقيم، والسلوك، والفسق، والانحراف، وهذه الاستعمالات تستقيم مع المعني اللغوي للكلمة.

الكلمات المفتاحية : الجاهلية، سيد قطب، المؤيدون، المعارضون، العبودية.

Abstract

The study investigates the notion of "*jahiliyya*" according to Sayyid Qutb. It covers the discussion on the demarcation line between Islamic and *jahiliyya* societies and Qutb's justification of considering societies in general as under the shadow of *Jahiliyyah*. The study also analyses views from supporters of Qutb and also the

opponents of his view in regards to the notion. Using qualitative methodological framework, the study characterizes, compares and appraises Qutb's views on '*jahiliyyah*' based on his writings and others. It can be concluded that '*jahiliyyah*' addressed by Qutb exemplifies the ideas of man's judgement over man in the one hand, and the non-acknowledgement of God's supremacy by giving a due recognition of man's lordship in the other. The study also summed up that *jahiliyyah* in Qutb's discourse predominantly carries the meaning of backwardness, certain values, attitudes and deviation. Those prescribed meanings are altogether in line with the literal sense of the word.

Keywords: *jahiliyyah*, Sayyid Qutb, supporters, oppositions, submission.

مقدمة

يُعتبَر المفكر الإسلامي سيد قطب واحدًا من أهم الكتاب والمفكرين الذين أثاروا جدلاً في حياته وبعد موته بسبب براعته في إنتاج الأفكار والنظريات التي كان يقول عنها دومًا "أنّ أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئًا كثيراً ولكن بشرط واحد أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم، أن يُطعِموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم، أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدّموا دماءهم فداءً لكلمة الحق. إنّ أفكارنا وكلماتنا تظلّ جثثًا هامدة حتى إذا متنا في سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حيّة" (قطب س.، مجلة الرسالة، العدد 1007، 1952) .

ومن بين الأفكار التي برع فيها سيد قطب وظلت خالدة بعد موته فكرة "الجاهلية" التي انقسم حولها المفكرون إلى قسمين، الأول: مؤيد، والثاني: معارض، أما القسم الأول: فقد وافق المؤيدون سيد قطب في طرحه لمسألة الجاهلية، وتبلورت آراؤهم حول أن الجاهلية ليست فترة من الزمن، ولكنها وضع من الأوضاع، لأن الجاهلية مناقضة للإسلام ومقابلة له، كما أن مصطلح الجاهلية مقبول وصحيح ولا يدل على تكفير المجتمعات كما يردده البعض، كما أن سيد قطب قصد بالجاهلية وصف الواقع الرديء المعاصر، وفضح الأنظمة المعاصرة. وأما القسم الثاني: فقد عارض سيد قطب في طرحه لمفهوم الجاهلية معتقدين بأن سيد قطب يكفر المجتمعات بالإضافة إلى أنها تعيش في الجاهلية كالتي كانت قبل الإسلام.

ومن خلال ما سبق تبين للباحث أن هناك جدلا حول مصطلح الجاهلية الذي طرحه سيد قطب من خلال كتاباته، لذلك أراد الباحث أن يقف على حقيقة مصطلح الجاهلية في فكر سيد قطب، مع عرض أهم الآراء المؤيدة والمعارضة لذلك المفهوم.

مفهوم الجاهلية في فكر سيد قطب

تعتبر الجاهلية من المصطلحات الأساسية التي يقوم عليها فكر سيد قطب، وقد تناول هذا المصطلح من خلال تفسيره لقول الله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾- (المائدة: 50) . فالجاهلية من وجهة نظره هي "حكم البشر للبشر، والخروج من عبودية الله ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله، فالجاهلية في ضوء هذا النص ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، هذا الوضع يوجد بالأمس، واليوم، وغدًا، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام والمناقضة له، والناس في أي زمان، ومكان، إما أنهم يحكمون بشريعة الله، ويقبلونها، ويسلمون لها تسليمًا، أو أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر في أي صورة من الصور، ويقبلونها، فهم إذن في جاهلية وهم في دين من يحكمون بشريعته" (قطب س.، 1972، صفحة 904 ج 2).

وبناءً على هذا التعريف، فإن "سيد قطب" قسم المجتمعات إلى قسمين، وهما:

أولا– المجتمع الإسلامي: وهو المجتمع الذي يتلقى القيم، والموازين، والأحكام، والأوضاع، والتشريعات، والأنظمة من الله تعالى.

ثانيا–المجتمع الجاهلي: وهو المجتمع الذي يتلقى القيم، والموازين، وأخلاقه، وتصوراته، وأنظمته، وأحكامه، وشرائعه من البشر والعباد" (قطب س.، 1972، صفحة ج 3، ص 1196)".

وعلى هذه المنطلقات، فإن سيد قطب يرى أن المسلم لا يعتقد أن لله شريكًا في خلق الكون وتدبيره، كما أن الشعائر التعبدية لا تكون إلا لله وحده، بالإضافة إلى أن القوانين، والموازين، والعقائد، والتصورات، لا تكون من البشر، ولكن من الله وحده، ولا يسمح لطاغوت من العبيد أن يدعي حق الألوهية في شيء من

هذا كله مع الله. وعند النظر في كتابات سيد قطب وخاصة كتابه "في ظلال القرآن"، "ومعالم في الطريق" سنجد الأسباب التي جعلته يقسم المجتمع، ويتهمه بالجاهلية، وهذه الأسباب هي:

أولا –تحويل قطبية الحاكمية من الله إلى البشر، حيث يرى سيد قطب أن البشرية اليوم تلفها أنظمة وأوضاع كلها جاهلية، وفى ذلك يقول: " إن البشرية تنقسم شيعاً كلها جاهلية، شيعة ملحدة تنكر وجود الله أصلاً وهم الملحدون، فأمرهم ظاهر لا يحتاج إلى بيان، وشيعة وثنية تعترف بوجود إله، ولكنها تشرك من دونه آلهة أخرى وأرباباً كثيرة، كما في الهند، وفي أواسط إفريقية، وفي أجزاء متفرقة من العالم، وشيعة أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وهؤلاء أشركوا قديماً بنسبة الولد إلى الله، كما أشركوا باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، لأنهم قبلوا منهم ادعاء حق الحاكمية وقبلوا منهم الشرائع، وإن كانوا لم يصلوا لهم، ولم يسجدوا، ولم يركعوا أصلا، ثم هم اليوم يقصون حاكمية الله بجملتها من حياتهم، ويقيمون لأنفسهم أنظمة يسمونها الرأسمالية والاشتراكية وما إليها، ويقيمون لأنفسهم أوضاعاً للحكم يسمونها الديمقراطية، والديكتاتورية، وما إليها، ويخرجون بذلك عن قاعدة دين الله كله، إلى مثل جاهلية الإغريق والرومان وغيرهم، في اصطناع أنظمة وأوضاع للحياة من عند أنفسهم، وشيعة تسمي نفسها مسلمة، وهي تتبع مناهج أهل الكتاب هذه حذو النعل بالنعل خارجة من دين الله إلى دين العباد، فدين الله هو منهجه وشرعه ونظامه الذي يضعه للحياة وقانونه، ودين العباد هو منهجهم للحياة وشرعهم ونظامهم الذي يضعونه للحياة وقوانينهم" (قطب س.، 1972، صفحة 1256، ج 3).

ثانيا– نزعة العودة إلى الجاهلية تصورا، ومنهجا وسلوكا ، حيث يعتقد سيد قطب أن هذه المجتمعات على الرغم من أنها متقدمة في العلم والمال، إلا أن التصورات والمناهج، والعادات والتقاليد، والقوانين، كلها تشريعات تخضع الأفراد بعضهم لبعض، وعلى هذا فإن المجتمع يوجد فيه أرباب، وعبيد، ومن ثم فهو مجتمع متخلف، أو بالمصطلح الإسلامي جاهلي. وفي ذلك يقول سيد قطب: " إن المجتمعات البشرية اليوم بجملتها، مجتمعات جاهلية، وهي من ثم مجتمعات متخلفة، أو رجعية، بمعنى أنها رجعت إلى الجاهلية، بعد أن أخذ الإسلام بيدها فاستنفذها منها. والإسلام اليوم مدعو لاستنقاذها من التخلف والرجعية الجاهلية،

وقيادتها في طريق التقدم، والحضارة، بقيمها وموازينها الربانية " (قطب س.، 1972، صفحة 1257، ج 3).

ومن خلال ما سبق يعتقد الباحث أن مصطلح الجاهلية من المفاهيم المحورية التي شكلت حقيقة التوجهات المختلفة للإسلام السياسي، والتي تمحور حولها الكثير من الأدبيات، والاجتهادات لمفكري الحركات الإسلامية بمختلف مسمياتها وأحزابها، ويعتبر سيد قطب واحدًا ممن أصلوا لهذا المفهوم في الفكر الديني المعاصر، إذ يرى أن الجاهلية ليست فترة من الزمن، ولكنها وضع من الأوضاع، لأن الجاهلية مناقضة للإسلام ومقابلة له، لذلك فإن المجتمع من وجهة نظر سيد قطب يعيش في جاهلية.

سيد قطب بين المؤيدين له والمعارضين

فمن الموافقين لفكرة الجاهلية التي طرحها سيد قطب، سالم البهنساوي، وحسن الهضيبي، وعمر التلمساني، ومحمّد قطب.

أولا–سالم البهنساوي

يرى البهنساوي أن رأي "سيد قطب" حول الجاهلية مقبول وصحيح، ولا يدل على حكم ما، وإنما قصد سيد قطب بذلك المفهوم وصف الواقع الرديء المعاصر، وفضح الأنظمة المعاصرة، كما قصد علو الهمم، ورفع العزائم نحو العمل والتغيير، وإنقاذ البشرية من الجاهلية إلى الإسلام، وفي ذلك يقول: "الألفاظ العامة للكتّاب والشّراح وأوصافهم للمجتمع أنه جاهلي أو على غير الإسلام، أو معدود على الديانة الإسلامية، لا تعطي حكماً شرعياً لكل أفراده، وهناك فرق بين الحكم الفقهي وبين الموعظة والزجر، ويستغرب كيف فهم "التكفيريون" من كلام "سيد" أنه يكفر المجتمعات فيقول "والغريب أن الشهيد سيد قطب الذي جعلوه (يعني جماعة التكفير) قميص عثمان ستروا أخطاءهم ببعض أقواله التي هي من قبيل شحذ العزائم والهمم، وليست حكماً من أحكام الشريعة" (البهنساوي، بدون تاريخ، صفحة 53).

ثانيا– حسن الهضيبي

على الرغم من انتقاد الهضيبي لمفهوم الحاكمية شكلاً لا مضمونًا عند "سيد قطب"، إلا أنه قد وافق سيد قطب في طرحه لمفهوم الجاهلية، إذ يقول:" والجاهلية كالضلال، والعصيان، والفسوق، والظلم، وهي من الألفاظ التي استعملت في القرآن الكريم، وفي الأحاديث الصحيحة، وتعني الخروج على أحكام الدين ، ذلك الخروج الذي لا يبلغ أحياناً حد الخروج عن الملة، وأحياناً يبلغ حد الخروج عن الملة والردة عن الإسلام". (الهضيبي، 1977، الصفحات 181-182)

ثالثا – عمر التلمساني

من خلال تصفح كتاب "ذكريات لا مذكرات" يعقب التلمساني لمفهوم الجاهلية عند "سيد قطب" قائلا: " إن كثرة ترداد سيد لكلمة المجتمع الجاهلي لم يقصد به تكفير المجتمع ولكن تشديد النكير على الظلمة، والطغاة، والمستغلين، والمشككين فهو أسلوب تعرفه اللغة العربية" (التلمساني، بدون تاريخ، صفحة 280).

رابعا–محمد قطب

لقد توسع "محمد قطب" في تناول معنى الجاهلية من خلال كتابه "جاهلية القرن العشرين"، حيث يقول: " ليست الجاهلية صورة معينة محدودة كما يتصورها الطيبون الذين يرون أنها فترة تاريخية مضت إلى غير رجوع، إنما هي جوهر معين، يمكن أن يتخذ صوراً شتى، بحسب البيئة والظروف والزمان والمكان ؛ فتتشابه كلها في أنها " جاهلية " وإن اختلفت مظاهرها كل الاختلاف وليست هي المقابل لما يسمى العلم، والمعرفة، والحضارة، والمدنية، والتقدم المادي، والقيم الفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والإنسانية على إطلاقها، كما يتصورها الخبيثون، سواء بالنسبة للجاهلية العربية أو بالنسبة للقرن العشرين، إنما الجاهلية كما عناها القرآن وحددها هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾- (المائدة: 50) فالجاهلية ليست محصورة في الجاهلية العربية ولا في فتره زمنية محددة وإنما هي حالة يمكن أن توجد في أي وقت وفي أي مكان ..كما توجد كذلك في أي مستوى من المعرفة، والحضارة، والتقدم المادي، والقيم الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والإنسانية، إذا كانت هذه كلها لا تهتدي بالهدى الرباني، وتتبع أهواءها وترفض أن تتبع ما

أنزل الله". (قطب م.، بدون تاريخ، الصفحات 7-8) ويعتقد الباحث أن "محمد قطب"، شقيق "سيد قطب"، قد طرح مفهوم "الجاهلية"، وفصل القول فيه من أجل أن يوضح الرؤية لجميع المنتقدين الذين انتقدوا مفهوم" الجاهلية"، عند "سيد قطب" معتقدين أنه يكفر المجتمعات.

وأما المعارضون لفكرة الجاهلية عند سيد قطب، فمنهم محمد الوكيل، وأحمد الطيب وآخرون غيرهما، اتفقوا على أن الجاهلية لها فترة تاريخية محددة، وقد مضت وولت بمجيء الإسلام، فلا يمكن وصف المجتمع الإسلامي اليوم بالمجتمع الجاهلي ولو توفرت لديه صفات الجاهلية.

أولا–محمد الوكيل

يعارض الوكيل فكرة الجاهلية، ويتهم سيد قطب بالخطأ وتكفير المسلمين، وفي ذلك يقول:" إن الحكم على إطلاقه غير مقبول لدى علماء المسلمين السلف، نعم قد يسود في المجتمع بعض الصفات الجاهلية، ولكن لا يسمى مجتمعًا جاهلياً، لأن ليس بعد الإسلام جاهلية، وأن الإسلام قد قضى على الجاهلية، ووضع لها حدًا انتهت إليه" (الوكيل، 1984، صفحة 184). ومن خلال ما سبق تجلى للباحث أن محمد الوكيل، قد اعترف أن المجتمع قد تسود فيه بعض الصفات الجاهلية ولكن لا يصح إطلاق لفظ المجتمع الجاهلي. وهذه العبارة تدل على أن "الوكيل" انتقد مفهوم الجاهلية لفظًا فقط مما يدل على عدم رفضه كلية حيث لم يبين وجه الاعتراض على ما ذكره سيد قطب حول مفهوم الجاهلية.

ثانيا–أحمد الطيب: انتقد شيخ الأزهر أحمد الطيب مفهوم الجاهلية عند سيد قطب، وذلك في إحدى حواراته مع صحيفة عربية حيث استشهد بكلام سيد قطب الذي يقول فيه: "إن المجتمعات التي تعيش فيها الأمة الإسلامية الآن هي مجتمعات الجاهلية"، ثم شرح العبارة بقوله: " لم يشبه "سيد قطب" الأمة الإسلامية بالجاهلية الأولى الوثنية، ولكنه قارنها بجاهلية الأمة الإسلامية حاليًا؛ لأن الجاهلية الأولى كانت جاهلية عبادة أوثان فقط، أما جاهلية الأمة الإسلامية الآن كما قال سيد قطب جاهلية مركبة حيث توجد قوانين ودساتير تحكم المجتمعات، وتوجد أنظمة وقوانين دولية، وهذه كلها من وجهة نظر "سيد قطب" أصنام، وبالتالي هناك الآلاف من الأصنام التي يعبدها المسلمون، وكان يسخر ممَّن يريدون تطبيق الشريعة؛

لأنه لا يراها مجتمعات مسلمة بالأساس، وإنما هي مجتمعات كافرة يحكمها حكَّام كافرون، ولا بدَّ مِن إدخالهم في الإسلام أولًا.

ومن فكرة الحاكمية انطلق للقول بجاهلية المجتمع، ثم تكفير المجتمع، ثم جواز قتال المجتمع، ثم انطلق من ذلك لفكرة "الولاء والبراء" بمعنى الولاء للمسلمين، والبراء من غير المسلمين، وكانت هذه المفاصلة الشعورية القائمة على تكفير المجتمع وإظهار الكره له سببًا في تنكُّر الشباب المؤمنين بهذا الفكر مِن آبائهم، وبعضهم ترك وظيفته؛ لأنه في مجتمع كافر، وحاول البعض الانفصال عنه؛ لإيمانه أن المجتمع جاهلي، والحاكم جاهلي" (www.youm7com/story/2015/3/6/, 2015).

من خلال ما سبق تبين للباحث أن الجاهلية الأولى التي تحدث عنها أحمد الطيب وحصرها في عبادة الأوثان لم يخالفه الصواب فيها، لأن الجاهلية الأولى لم تنحصر فقط في عبادة الأوثان، بل كانت في شتى نواحي الحياة، لذلك فإن سيد قطب حينما شبهها بالأمة الجاهلة لم يكن يقصد أن المسلمين في وقتنا الحالي يعبدون الأصنام، بل كان يقصد حكم البشر للبشر، والذي لا يبتغي حكم الله تعالى يبتغى حكم الجاهلية، والذي يرفض شريعة الله يبتغى شريعة الجاهلية.

بالنسبة لتشخيص مفهوم الجاهلية فيرى الباحث أن الجاهلية ليست كلمة مستحدثة كالحاكمية، لأن الجاهلية قد وردت في لسان العرب يقال" قد جهله جهلاً، وجهالة، وجهل عليه، أي أظهر الجهل" (ابن منظور، بدون تاريخ، مادة "جهل" ، ج 3، ص 129-130) ، كما وردت كذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كقول الله تعالى﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾- (آل عمران 154)

إذاً من ناحية أصل الكلمة، فإنها موجودة وشائعة الاستخدام في لسان العرب. والقرآن الكريم كذلك استخدمها، ويقصد بالجاهلية: هي الحالة التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله، وشرائع الدين والأنساب، والمفاخرة وغير ذلك من الصفات السيئة (شوري ،2005 ،صفحة 4). ومن خلال عرض الباحث لمصطلح الجاهلية عند سيد قطب، يتساءل الباحث هل سيد قطب قصد تكفير المجتمعات من خلال تقسيمه؟ وفي الحقيقة عند البحث عن الإجابة تبين أن الجاهلية عند سيد قطب هي الجاهلية كما أخبر عنها القرآن وهي كالآتي: حكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وجاهلية التبرج، فأما حكم الجاهلية فقد وردت في تفسيره لقول الله تعالى﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾- المائدة: 50، فالجاهلية في الآية الكريمة يقصد بها حكم البشر للبشر، والذي لا يبتغي حكم الله تعالى يبتغى حكم الجاهلية، والذي يرفض شريعة الله يبتغى شريعة الجاهلية ويعيش في جاهلية (قطب س.، في ظلال القرآن، 1972، صفحة 904 ج 6).

وأما ظن الجاهلية فجاءت في قول الله تعالى﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ ﴾آل عمران: 154، فهذه الآية الكريمة يقصد بها تقرير لحال الرماة الذين انقسموا إلى فريقين عند رؤيتهم للغنائم، فالفريق الأول يريد غنيمة الدنيا، والفريق الثاني يريد غنيمة الآخرة، أما الذين وصفهم أصحاب الإيمان المزعزع فهم الذين شغلتهم أنفسهم، وأهمتهم، والذين لم يتخلصوا من التصورات الجاهلية (قطب س.، في ظلال القرآن، 1972، صفحة 510 ج 6). أما حمية الجاهلية فذلك في قول الله تعالى﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾- (الفتح : 26)، يقول "سيد قطب": "إن المقصود بهذه الآية الكريمة أن لا حمية لعقيدة، ولا لمنهج، إنما الحمية حمية الكبر، والفخر، والتعنت، والبطر (قطب س.، في ظلال القرآن، 1972، صفحة 3329 ج 26)".

وأما جاهلية التبرج، فقد جاءت في قول الله تعالى﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾- (الأحزاب: 33)، يقول "سيد قطب" في تفسيره للآيات" لقد كانت المرأة في الجاهلية تتبرج، ولكن جميع الصور التي تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة، أو محتشمة حين تقاس إلى تبرج أيامنا هذه في جاهليتنا الحاضرة... فالجاهلية ليست فترة زمنية معينة، إنما هي حالة اجتماعية معينة، ويمكن أن توجد في أي زمان، أو مكان فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان، وبهذا المقياس نجد أننا نعيش في جاهلية عمياء، غليظة الحس، هابطة في درك البشرية إلى حضيض مهين، وندرك أنه لا طهارة، ولا بركة في مجتمع يحيا هذه الحياة، والسبيل هو التطهر من الرجس والتخلص من الجاهلية الأولى (قطب س.، في ظلال القرآن، 1972، صفحة 2861 ج 22)".

ومن خلال ما سبق نجد أن مفهوم "سيد قطب" للجاهلية قد ورد في كثير من المواضع بمعني التخلف في الفكر، والقيم، والسلوك، وأساليب الحياة، والانحراف، والفسق، وهذه الاستعمالات تستقيم مع المعنى اللغوي للكلمة، إلا أن السياق العام لكلامه يفهم منه تكفير المجتمعات، وإخراجهم من الإيمان، حتى وإن لم يقصد ذلك، ويرجع ذلك إلى عرضه الأدبي المؤثر، الذي أنساه التدقيق والتفصيل في بعض العبارات، والتي أولها الكثيرون إلى أن منهج سيد قطب يفرق ولا يجمع، يعكر ولا يفيد، يشعل الفتن في المجتمع، ولعل الذي ساعدهم على ذلك الحدة في عباراته، والجرأة في طرحه ورده على أهل الباطل الذين أذاقوه ألوان العذاب.

ومما يدل على أن السياق العام لكلامه يفهم منه التكفير قوله " وحين نستعرض وجه الأرض كله اليوم على ضوء هذا التقرير الإلهي لمفهوم الدين والإسلام، لا نرى لهذا الدين وجودًا، إن هذا الوجود قد توقف منذ تخلت آخر مجموعة من المسلمين عن إفراد الله سبحانه وتعالى بالحاكمية في حياة البشر، وذلك يوم أن تخلت عن الحكم بشريعته وحدها في كل شؤون الحياة" (قطب س.، العدالة الاجتماعية في الإسلام، 1995، صفحة 183)". بالإضافة إلى قوله" لا إسلام ولا إيمان بغير الإقرار بالحاكمية لله وحده، والرجوع إليها فيما يقع عليه التنازع، مما لم يرد به نص، إذ لا رأي مع نص، والحكم بما أنزل الله في كل شؤون الحياة،

والرضى بهذا الحكم رضًا قلبيًا بعد الاستسلام له عمليًا، وأن هذا هو الدين القيم، وهذا هو الإسلام الذي أراده الله من الناس" (قطب س.، العدالة الاجتماعية في الإسلام، 1995).

هذا، ومن خلال معالجة الباحث لمصطلح الجاهلية في فكر "سيد قطب"، يعتقد الباحث أن المصطلح سيظل الاختلاف حولها ما بين مؤيد ومعارض نظرًا للغموض في العبارات التي استخدمها سيد قطب بدون تفصيل أو توضيح والتي تطرح كما يحلو للبعض تأويلها وبالأخص حول قضية تكفير المسلمين.

الختام

مما تعرضنا سابقا عن مفهوم الجاهلية في فكر سيد قطب توصلنا إلى النتائج الآتية:

أولا – إن الجاهلية عند سيد قطب هي حكم البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض، بألوهية بعض البشر، وبالعبودية لهم من دون الله، فالجاهلية في ضوء هذا النص، ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، هذا الوضع يوجد بالأمس، واليوم، وغدًا، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام.

ثانيا– أن سيد قطب" قسم المجتمعات إلى قسمين، وهما: المجتمع الإسلامي الذي يتلقى القيم، والموازين، والأحكام، والأوضاع، والتشريعات، والأنظمة من الله تعالى، والمجتمع الجاهلي الذي يتلقى القيم، والموازين، وأخلاقه، وتصوراته، وأنظمته، وأحكامه، وشرائعه من البشر والعباد.

ثالثا–إن أهم الأسباب التي جعلت سيد قطب يقسم المجتمعات، ويتهمه بالجاهلية أن المجتمعات على الرغم من أنها متقدمة في العلم والمال، إلا أن التصورات والمناهج، والعادات والتقاليد، والقوانين، كلها تشريعات تخضع الأفراد بعضهم لبعض، وعلى هذا فإن المجتمع يوجد فيه أرباب، وعبيد، ومن ثم فهو مجتمع متخلف، أو بالمصطلح الإسلامي جاهلي.

رابعا- أن هناك عددًا من الموافقين، والمعارضين لفكرة الجاهلية عند سيد قطب. أما الموافقون له فخلصت آراؤهم إلى أن مصطلح الجاهلية عند سيد قطب لم يقصد به تكفير المجتمعات، ولكن تشديد النكير على الظلمة، والطغاة، والمستغلين، والمشككين. وأما المعارضون فخلصت آراؤهم إلى أن حكم سيد قطب على المجتمعات بأنها تعيش في جاهلية فهو حكم غير مقبول لدى علماء المسلمين السلف، لأن ليس بعد الإسلام جاهلية، وأن الإسلام قد قضى على الجاهلية، ووضع لها حدًا انتهت إليه.

خامسا-بينت الدراسة أن الجاهلية قد أتت في كثير من المواضع التي تحدث عنها "سيد قطب" بمعنى التخلف، والقيم، والسلوك، والفسق، والانحراف، وهذه الاستعمالات تستقيم مع المعني اللغوي للكلمة.

سادسا- أوضحت الدراسة أن مصطلح الجاهلية سيظل محل اختلاف وجدل حوله ما بين مؤيد ومعارض، وذلك نظرًا للغموض في بعض العبارات التي استخدمها سيد قطب حيث أتاها قطب بدون تفصيل أو توضيح والتي تطرح كما يحلو للبعض تأويلها وبالأخص حول قضية تكفير المسلمين.

المصادر

ابن منظور. (د.ت.) لسان العرب. تحقيق عبد الله الكبير . بيروت: دار المعارف.
البهنساوي، سالم. (د.ت.) الحكم وقضية تكفير المسلم. الكويت: دار البحوث العلمية.
التلمساني، عمر. (د.ت.) ذكريات لا مذكرات. القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية.
الوكيل، محمد السيد. (1986م) كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر. القاهرة: دار المجتمع.
الهضيبي، حسن. (1397 هـ/ 1977 م). دعاة لَا قضاه. القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية.
عمر شورى، عبده. (1426 هـ/ 2005 م). سيد قطب وأفكاره السياسية والعقدية .ماليزيا: دار التجديد.
قطب، محمد (1412هـ/1992م.) جاهلية القرن العشرين. القاهرة: دار الشروق.
قطب. سيد. (1415 هـ/ 1995 م). العدالة الاجتماعية في الإسلام . القاهرة: دارالشروق.
قطب، سيد. (1972 م). في ظلال القرآن . القاهرة: دار الشروق.

قطب، سيد. قوة الكلمة. مجلة الرسالة، العدد1007، نشر بتاريخ 1952/10/20م، انظر الرابط الآتي: https://ar.wikisource.org

حوار صحفي مع شيخ الأزهر أحمد الطيب بعنوان" سيد قطب جاء بمفاهيم ما أنزل الله بها من سلطان"، نشر بتاريخ 6 مارس، 2015 ، انظر الرابط الآتي:http://www.youm7com

REFERENCES

Al-Bahansawi, Salim. (n.d) *Al-Hukm wa qadhiyya takfir al-Muslim*. Kuwait: Dar al-Buhuth al-'Ilmiyyah

Al-Hudaibi, Hasan. (1397 H\1977). *Du'at la qudat*. Cairo: Dar al-Tiba'ah wa al-Nashr al-Islamiyyah

Al-Tilimsani, 'Umar. (n.d). *Dhikrayat la mudhakkirat*. Cairo: Dar al-Tiba'ah wa al-Nashr al-Islamiyyah

Al-Wakil, Muhammad al-Sayyid. (1986). Kubra al-harakat al-Islamiyyah fi al-Qarn al-Rabi' 'Asyar. Cairo: Dar al-Mujtama'.

Ibn Manzur. (n.d.). *Lisan al-'Arab*. Ed. "Abdullah al-Kabir. Beirut: Dar al-Ma'arif Qutb, Muhammad. (1412 H\1992). *Jahiliyyah al-Qarn al-'Isyrin*. Cairo :Dar al-Syuruq.

Qutb, Sayyid. (1415 H\1995). *Al-'Adalah al-ijtima'iyyah fi al-Islam*. Cairo: Dar al-Syuruq

Qutb, Sayyid. (1972). *Fi zilal al-Quran*. Cairo: Dar al-Syuruq.

Qutb, Sayyid. "Quwwah al-kalimah". *Majallah al-Risalah*. (October 1952. No: 1007). https://ar.wikisource.org

'Umar Syuri, 'Abduh. (1426H\2005). *Sayyiq Qutb wa Afkaruhu al-Siyasiyyah wa al-'Aqadiyyah*. Malaysia: Dar al-Tajdid.

Ma Anzala Allah Biha Min Sultan, Conversation With Syeikh al-Azhar Ahmad al-Tayyib. (6 March 2015). http://www.youm7com.